تعتمد على استغلال العامل الرخيص ، كما هو الحال بالنسبة لاستغلال عمل السود في الولايات المتحدة »(٢). لقد كان هذا هو الوضع في المستوطنات ، ولم يأخذ المستوطنون بتوصية ورغبة البارون في اقتصار العمل على اليد العاملة اليهودية « لانكم بذلك ينقذ الواحد منكم الاخر وتذكروا بأنكم كنتم فقراء ، لا تتركوا اخوانكم ولا تعطـوا الآخرين فقط »(٣). بيد ان ذلك لم يثمر ، وفضل المستوطنون العمال العرب على العمال اليهود مما دفع القادرين من هؤلاء العمال الى التحول الى مزارعين ملاك ، اما القلة المتبقية فقد بقيت تعمل داخل المستوطنات . لم يكن مزارعو المستوطنات مجرد فلاحين بسطاء، بل كانوا بمثابة طبقة برجوازية ريفية تعتمد بالاساس على جهد وعمل العمال العرب ، ويعود ذلك الى طبيعة المستوطن ، فهو ابن المدينة ، وابن الطبقة البرجوازية الصغيرة ، ولذا فقد تحكمت فيه نفسية التاجر ، وروح البرجوازية الصغيرة ، التي تعتاش بادارتها للامور دون انتاجها ، هذا علاوة على ان المستوطن اليهودي لم يسبق له ان اشتغل بفلاحة الارض منذ زمن طويل ، وقد مس يوسف اهارونفتس نفسية المستوطن التي تسيطر عليها روح التجارة بدل الفلاحة بقوله « ان ابن شعب كان خلال الفي عام مدينيا وابان منفاه الطويل لم يكن خلاقا ، بل استخدم كوسيط للاخرين الذيـن انتجوا ، ابن شعب كهذا لا يمكن له أن يتحول فجأة الى قروي يعيش حيـاة الفلاح . ان « معانـاة التركة » التي خلقتها مئات الاجيال لا تزول بسرعة ، ان شعبا كهذا يمكن ان يتحول من تاجر اقمشة الى تاجر كرمة ، او برتقال ، باستطاعته ان يهجر المدينة وان يخلق له حياة مدينية في القرية ، بيد انه لا يتمكن تماما من نسيان المدينة ونظـام حياتها . ان مزارعينا الموجودين في البلاد هم تجار . . . »(٤).

وبفضل هذه الروح فضل المستوطن اليهودي وكذلك الاداري اليهودي العامل العربي على العامل اليهودي في حالة وجوده ، لان الاول يمكن استغلاله بشكل أكثر وأبشع ، ولانه يعطي في الوقت نفسه مجهودا أكبر مما يدر على المستوطنين أرباحا ، فتحولت المستوطنات الى نوع من الاقطاعيات الجديدة في فلسطين ، تضيف الى الاقطاع التركي المسمى بالالتزام نمطا آخر مختلفا عنه ومتقدما عليه مبنيا بالاساس على استغلال الايدي العاملة العربية . اذن يمكن القول ان المجتمع اليهودي في فلسطين حتى مطلع القرن الحالي وبداية الهجرة الثانية ، كان يتكون من شريحتين اساسيتين (١) شريحة المدن وتتألف بالاساس من البرجوازية المتوسطة والصغيرة ، وقد خلت المدن التي يوجد بها يهود من العمال اليهود باستثناء القدس . (٢) شريحة الريف وتتشكل بالاساس من البرجوازية الريفية سواء على شكل مستوطن ملاك او اداري بيروقراطي ، ولم تكن هنالك شريحة عمالية تذكر . ويصف موشيه بارسليفسكي في كتابه **تـاريخ الحركـة العمالية في فلسطين** وضع المستوطنات ابان بداية الهجـرة الثانية بقوله : « لقد وجدت الهجرة الثانية اكثر من عشرين مستوطنة جميعها مغطاة بالعمال العرب ، وفي المعدل كان كل مستوطن يعيل ثلاث عائلات عربية، وقد وجد آلاف العمال العرب اذن معيشتهم في المستوطنات ، وكان عدد السكان العرب داخل بعض المستوطنات يفوق عدد السكان اليهود ، وفي الوقت نفسه كان يتدحرج داخلها عدد ضئيل من العمال اليهود ويناضلون للحصول على يوم عمل . هذا هو الواقع »(٥).

« **احتلال العمل** » : تعتبر الهجرة اليهودية الثانية التي تدفقت على فلسطين خـلال الربع الاول من القرن الحالي من اخطر الهجرات اليهودية ، ففيها تم تكوين الخليـة الاولى للطبقة العاملة اليهودية ، هذه الخلية التي أخذت تتنامى وتتعزز حتـى أصبح المجتمع اليهودي قادرا على الاعتماد على ذاته في تكوين الدولة . وقد اصاب موشيه بارسليفسكي حين قال : « ان معركة احتلال العمل كانت أهـم معـركة في تاريـخ الصهيونية ، فهي التي حسمت مصيرها ، وفيها أيضا تعززت قوة الحركة العمالية ،